إشكاليات الكتابة الأدبية في الجزائر من منظور سوسولوجي

- قراءة في المقاربة النقدية عند عمار بلحسن -

أ. عبد الوهاب شعلان

المركز الجامعي - سوق اهراس

مقدمة:

مثل الباحث السوسولوجي عمار بلحسن محطة لافتة في سياق الثقافة الجزائرية المعاصرة، فطيلة حياته الفكرية القصيرة استطاع بلحسن أن يقدم كتابات فكرية هامة، قائمة على رؤيا سوسولوجية، تنهل من فيض العلوم الإنسانية وإنجازاتها المعرفية الهائلة.

لقد كانت سوسولوجيا الثقافة الحقل المعرفي الأثير في كتابات الباحث. وفي هذا الإطار بلور نقاشات عميقة حول الأنتلجانسيا والمتقفين في الجزائر، وبنية الوعي الثقافي الجزائري، والأسس الاجتماعية للمتقفين، ودورها في صناعة الوعي وتشكيل الرؤيا والمنهج ... وغيرها من الإشكاليات.

وقد استطاع عمار بلحسن أن يشق طريقه أيضا ضمن الفضاء الإبداعي، وذلك من خلال إبداعاته القصصية المتميزة، التي جعلت منه أحد أهم الأصوات الأدبية في مجال القصة القصيرة في الجزائر. وعلى هذا الأساس جمع الباحث بين صرامة البحث السوسولوجي العلمي ورحابة الفضاء الإبداعي، بين دقة العالم المتسلح بجهاز معرفي ومنهجي واصطلاحي من ناحية، وانسياب المبدع المسكون بهواجس القلق الوجودي وشرارة الكلمة الحية.

ضمن هذا السياق نحاول أن نقدم الأطر الكبرى للمقاربة السوسولوجية عند عمار بلحسن في إطار الرؤية الشاملة للكتابة الأدبية في الجزائر، وما أفرزته من إشكاليات وقضايا فكرية ومنهجية. فبعبون الناقد السوسولوجي المتكئ على منظومة معرفية إنسانية، يحاول بلحسن مقاربة الظاهرة الأدبية في الجزائر، وقراءة أسس تكوينها وتحولاتها:

1- تأطير بنية الواقع الثقافي العام:

« يبدو العالم الثقافي الجزائري رماديا، أشبه بصحراء سائدة، لا تثبت فيها إلا بعض نباتات الصبار، التي تحتزن ماءها ونسغها، مؤونة منذ سنوات تعتاش منه، في انتظار غيث مستحيل، كأرض تمص مخزونها، مندھورة نحو التصحر النهائي، تذوي براعمها، ويجف ضرعها وزرعها لتترك اليباس يعيث في دبالها بدون هوادة» (1). بهذه الروح الشعاعرية، يستهل عمار بلحسن إحدى مقالاته الفكرية عن أزمة الكتابة في الجزائر، وغياب تقاليد الممارسة المعرفية التي تتجلى بصورة واضحة في خلو الساحة الثقافية من إحدى أهم وسائل الفعل المعرفي، أعني المجلة، أو المنبر الغائب كما يسميها.

وإذ يقدم صورة قائمة وكالحة وجدباء عن الواقع الثقافي الجزائري، فإنما يعود بكلمة "ثقافة" إلى منبعها الأصلي Culture المرتبط بالأرض والخصب والنماء، ومن ثم بالتعدد والحوار والاختلاف. ولكن البحث العلمي الحر، يكشف -في نظر بلحسن- أن الثقافة الجزائرية، تشكلت في سياقات تاريخية واجتماعية بعيدة عن دلالات الثراء والخلق. لقد صيغت هذه الثقافة في إطار الأحادية على المستوى الإيديولوجي، والشفاهية على مستوى التواصل الثقافي، والعزلة على مستوى العلاقة مع الفضاء العربي. كما تشكلت منظومتها في اتجاه الأحادية اللغوية، والبيروقراطية وسيادة النزعة السلفية (2). أدى كل ذلك إلى تمزق وخلخلة في بنية هذه الثقافة، وإلى حضور مشهدي ومهرجاني، بدل الحضور الإبداعي والتأصيلي الخلاق.

لم ينفرد عمار بلحسن بهذه الملاحظات السوسولوجية عن بنية الثقافة الجزائرية، فثمة باحثون كثيرون، أجمعوا على أن « غياب الطرح الفكري لقضايا خطيرة كان من العوامل التي أطالت المحنة الجزائرية » (3)، إذ لم يستطع الوعي الجزائري أن يواجه إشكالياته الحقيقية الكبرى بعقلية نقدية ومنهجية، تقوم على أساس قراءة الظاهرة ضمن سياقاتها الموضوعية، ومن ثم مقاربتها علميا ومنهجيا، من خلال إبداع فكري وفلسفي أصيل، بعيدا عن النزعة الشعاعرية، والمواقف الأنوية والسريعة.

إن غياب منابر الوعي والإبداع والفعل المعرفي الأصيل، كل ذلك أدى إلى سيادة ثقافة استهلاكية تلبى حاجيات ظرفية، وترضي نزعات إيديولوجية طارئة. ولكنها لا تؤسس منظومة ثقافية متماسكة، تصبح مرجعية. إن غياب المجلة -على سبيل المثال-

ليس أمرا عاديا، وإنما هو تمزق خطير في سياق الوجود الحضاري والثقافي العام. فالمجلة هي « منبر لخلق مرجعيات ثقافية، فكرية، معرفية وإبداعية، تتفاعل داخلها عوامل الجودة والاجتهاد والبحث والمساءلة والحقيقة، والمعرفة التراثية والعصرية، تسمح بوضع مثل ونماذج للمسلكية والأخلاقية الثقافية» (4). يؤسس هذا المنبر الثقافي الوعي، ويشكل الأطر الكبرى التي تقوم عليها المنظومة الثقافية للكيان الاجتماعي والحضاري. إن المجلة هي الصورة الرمزية للبناء المعرفي لشعب ما، والوجه الآخر للإنتاج الفكري والفلسفي والإبداعي الذي يلخص في عمومه - رؤيا العالم Vision de Monde الشاملة.

يتعلق بحضور المجلة - بوصفها أداة بناء فكري - إشكاليات ثلاث:

أ- إشكالية معرفية، لها علاقة بالمفاهيم والتصورات، والقيم الفكرية والجمالية والمعرفية.
ب- إشكالية سوسولوجية، من ناحية تشكيلها للنخب والزمير المثقفة، وما يتعلق بها من قيم ومنظومات ثقافية.

ج- إشكالية أدبية، ذلك أن المجلة هي « فضاء مفتوح، يؤرخ لولادة النصوص، ويشير لمكانتها ومقاماتها، ومراحل تشكلها » (5).

هكذا بلور الباحث الخصائص الكبرى للواقع الثقافي في الجزائر، وهو ما يحاول أن يبني عليه إشكاليات فكرية ومنهجية كبرى، لها صلة بواقع الكتابة الأدبية في الجزائر، وذلك من منطلق العلاقة الجدلية بين البناء السوسيوثقافي العام من ناحية وهوية الإبداع الأدبي من ناحية أخرى.

2- أزمة الإنتلجانسيا في الجزائر:

يطرح عمار بلحسن -برؤية إبستيمولوجية عميقة- مسألة الإنتلجانسيا والمثقفين في الجزائر، يقر الباحث مبدئيا بأنه « إذا كان هناك غياب للإنتلجانسيا اتفق الجميع على الإقرار به، فإن هناك -على العكس من هذا تماما- مثقفون فرادي، معزولون، شغيلون، ذهنيون، يعيدون إنتاج خطابات سياسية وإيديولوجية محلية أو عربية أو عالمية على المستوى الفكري» (6). ينطلق بلحسن -في رؤيته هذه- من منطلقات الفيلسوف الإيطالي أنطونيو غرامشي، الذي يفرق بين صنفين من المثقفين: مثقف تقليدي ومثقف عضوي. وبناء على هوية المثقف العضوي، النقدي، المرتبط بالسياق بالطبقات الاجتماعية ووعيتها

التاريخي، ينتهي الباحث إلى عدم وجود إنتلجانسيا « تتظاهر وتعمل كمجموعة اجتماعية منسجمة وعضوية، تقوم بالإنتاج المعرفي والإيديولوجي المتنوع، وتملك ميادين عملها ومؤسساتها المادية وأجهزتها الثقافية والإيديولوجية » (7)، تشكل وعي الجماعة، وتضع رؤاها وطموحاتها المستقبلية من خلال عمل ثقافي أصيل وعميق ومنظم.

ليس هناك إنتلجانسيا لهذا المفهوم، ولكن هناك مثقفون منعزلون، يمارسون الفعل المعرفي، بمعزل عن المؤسسات والنظم الفاعلة، يبلورون أفكارا وقيما وممارسات لا صلة لها بالأهداف المستقبلية والعمل المنظم.

هناك -إذن- مثقفون أو بالأحرى منتجو خطابات، يرى عمار بلحسن أنهم يشكلون أطرافا ثلاثة هي:

أ- السياسي البراغماتي، الشعبوي، الذي لا يمتلك عمقا ثقافيا.

ب- العالم أو رجل الدين، وريث الخطاب الإصلاح السلفي.

ج- الكاتب أو المثقف أو المفكر، المرتبط بالمؤسسات الثقافية والجامعية والإعلامية (8).

لقد تشكلت الممارسة الثقافية في الجزائر -في نظر بلحسن- ضمن فضاء ساد فيه الخطاب السياسي-الإيديولوجي ذو النزعة الأحادية والشعاراتية، وهيمنت فيه النزعة السلفية الفقيرة، التي لم تستطع أن تكون امتدادا فكريا للخطاب الإصلاح، وإثراء لمقولاته وأطروحاته وفق ما يتماشى وروح العصر. لقد ظلت هذه النزعة تدور حول قضايا تم استهلاكها بسطحية وإيديولوجية، مثل الأصالة والمعاصرة، والتعريب، والهوية الوطنية. لم يتم طرحها بعمق، في شكل مشاريع فكرية متماسكة، أو على الأقل كتابات تأسيسية، تقارب المسائل من زاوية علمية، تستمد أصولها من إنجازات العلوم الإنسانية الهائلة. وعلى الرغم من وجود مفكرين في هذا المجال، أمثال أبي القاسم سعد الله، ومصطفى لشرف، فإن حصيلة أعمالهم كانت فقيرة وهزيلة -في نظر الباحث- لم ترق إلى مستوى أعمال المغربي محمد عابد الجابري، أو التونسي هشام جعيط، أو السوري برهان غليون (9).

لقد انتهت السلفية الفكرية التي هيمنت على الخطاب الثقافي الجزائري- لاسيما المكتوب باللغة العربية-، انتهت إلى حصيلة تكاد تكون كارثية، لخصها الباحث في نقطتين رئيسيتين:

أ- « الأدلجة الهشة والفقيرة »، التي ترعرعت في ظل النزعة الوطنية والعربية، لا صلة لها بالإبداع والتجديد الفكري، ولها صلة أيضا بفتوحات العلوم الإنسانية.

ب- « تدجين الثقافة والفكر وأدب والفن »، من خلال تقديم إجابات جاهزة وسطحية لأسئلة معرفية عميقة. لقد حل الفقيه محل الفيلسوف، والداعية محل المفكر، مما أدى إلى انسداد الوعي وتسطيحه(10).

3- إشكاليات الكتابة الأدبية في الجزائر:

في ظل هذه الرؤيا السوسولوجية المنفتحة، والمؤسسة على منظومة العلوم الإنسانية المختلفة، يحاول عمار بلحسن أن يقترب من بعض إشكاليات الأدب الجزائري وقضاياها المحورية، ومنها:

أ- علاقة الأدب بالإيديولوجيا:

يعد مفهوم الإيديولوجيا من المفاهيم المركزية في المنهج السوسولوجي، وذلك بحكم استناد هذا المنهج إلى المرجعيات الفلسفية الماركسية بوجه خاص. ومصطلح إيديولوجيا مصطلح مريبك ومشوش، فهي كما يقول عبد الله العروي « دخيلة على جميع اللغات الحية، تعني لغويا، في أصلها الفرنسي، علم الأفكار، لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي، إذ استعارها الألمان وضمنوها معنى آخر، ثم رجعت إلى الفرنسية، فأصبحت دخيلة حتى في لغتها الأصلية »(11). لقد تعددت مفاهيم الإيديولوجيا، بحسب المرجعية الفكرية والفلسفية، ففي نظر ماركس هي « مملكة الوهم الحاجية التي بناها إيديولوجيو المجتمع الألماني لتبرير جحيم الأرض الرأسمالية »(12). وهي عند غرامشي « تصور للعالم، يتجلى ضمنا في الفن والقانون والنشاط الاقتصادي، وفي جميع تظاهرات الحياة الفردية والجماعية »(13). أما عند ألتوسير، فهي « تمثيل علاقات الناس مع شروط وجودهم الواقعية »(14).

بعد أن استعرض بلحسن المفاهيم المتعددة للإيديولوجيا في حقول الفلسفة وعلم الاجتماع، قدم مقاربة سوسولوجية لعلاقة الإبداع الأدبي بالحقل الإيديولوجي، تتطرق من مبدأ أن الكتابة هي ممارسة قائمة على اللغة، إذ يقوم الكاتب بإعادة صياغة العالم وفق لعبة لغوية وجمالية، فهو -إذن- لا ينسخ الأشياء وإنما يعيد خلقها من جديد، ومن ثم فهو يعيد إنتاج الإيديولوجيا، ولا يكون نتاجا لها. ويرى الباحث أن هذه العلاقة، يمكن أن ينظر إليها من خلال أطروحات ثلاث:

أ- النص الأدبي يعيد تشكيل الإيديولوجيا وبنيتها Structuration لينتج دلالات جديدة.

ب- النص يعري كاتبه ويفضحه، من خلال نزع الأقنعة عن إيديولوجيته.

ج- النص تمثيل جمالي لظواهر الواقع (15).

انطلق عمار بلحسن في رؤيته للعلاقة بين الأدب والإيديولوجيا من تراث النقاد السوسولوجيين لاسيما تراث المنهج الإمبريقي عند روبرت اسكاربيت R.Escarpit الذي يميز بين ضربين من النقد السوسولوجي: دراسة الأدب داخل المجتمع، ودراسة المجتمع داخل الأدب (16).

وأعتقد أن بلحسن اهتم بدراسة الأدب داخل المجتمع، أي تكون الظاهرة الأدبية في ضوء علاقاتها بالتناقضات الاجتماعية والثقافية، ولكنه لم يدرس الأبعاد الاجتماعية في النصوص الأدبية من زاوية سوسيونصية، تأخذ بالاعتبار مبدأ أن النص لا يعكس واقعاً، ولكنه يعيد تشكيله عبر آلياته اللغوية والجمالية.

ب- مأزق اللغة:

ظل سؤال اللغة السؤال المركزي في الأدب الجزائري الحديث، ذلك أن المشكلة اللغوية في الجزائر، أخذت أبعاداً إيديولوجية وثقافية في منتهى الخطورة. لم تكن الفرنسية " غنيمة حرب " -كما يقول كاتب ياسين- بالمعنى الإبداعي والإنتاجي، وإنما غدت لدى قطاع كبير من مستعمليها أداة لتعميق السؤال الحضاري، سؤال الهوية. ومن ثم غدا استعمال العربية إشكالا آخر، حيث تحول إلى موقع الدفاع عن هوية، تم تسطيحها وتحجيمها إلى أقصى الحدود.

لقد قدم عمار بلحسن حصيلة هذا الواقع اللغوي المتأزم بقوله: «ثمة وضع لغوي مكبوح: نخبة عربية اللسان، ضحية ثقافة سلفية موروثية منعزلة، تملك مشروعية التعبير اللغوي والثقافي والرسمي، ولكنها منغلقة في وجه التجديد الفكري والإبداعي ... (و) نخبة فرنسية اللسان والمرجعيات الثقافية، تلغمها الحساسيات والنزعات وصراعات المجموعات ... تغذيها بقايا فرانكفونية وتبعية لسانية وفكرية ... (و) جماعات متقفة أمازيغية، منعزلة ومنغلقة، لا تعرف الثقافة العربية» (17). بهذه القتامة، يرسم الباحث المشهد اللغوي في الجزائر، مشهد تأسس في أحضان الإقصاء، وجهل للآخر، وعدم الاعتراف به، تغذيه روح انتقامية دفينية، ترى الحقيقة لديها، وتنفيها جذريا عن الآخر. ومن هنا غدا الواقع اللغوي مأزوما، فبدل أن يتحول التعدد اللغوي إلى فضاء حوارى خصب وحر، يؤسس منظومة ثقافية منفتحة، متأصلة في جذورها التراثية، ومحاورة للحدث، أصبح التعدد أداة للأحادية والنزعة الإلغائية.

كيف نفسر هذا الجدار السميك بين من يكتب بالفرنسية وتراث الثقافة العربية؟ وبين بعض من يكتبون بالعربية وإنجازات الحدث؟ لماذا كانت اللغة عامل اغتراب وانفصال - يكاد يكون كليا- عن الكينونة الحضارية؟ لماذا شكلت تجربة الكتابة بالفرنسية ظاهرة خاصة في الجزائر على خلاف ما هو موجود في باقي الدول المغاربية وبعض الدول المشرقية؟

تتميز التجربة الفرانكفونية في تونس والمغرب بسمة التواصل الحضاري مع الموروث الثقافي العربي. لا تكاد إشكالية الصدام تطرح عند الطاهر بن جلون، وإدريس شرايبي، وعبد اللطيف اللعبي، وعبد الكبير الخطيبي في المغرب، أو عبد الوهاب المدب في تونس، أو أمين معلوف في لبنان. كتب معلوف في هذا السياق يقول «إن كوني مسيحيا، ولغتي الأم هي العربية، التي هي لغة الإسلام المقدسة، هو إحدى المفارقات الأساسية التي شكلت هويتي. إن الحديث بهذه اللغة، يجعلني أنسج علاقات مع كل من يستعملها يوميا في صلاتهم ... إن هذه اللغة هي عامل مشترك بينه وبين أكثر من مليار من الناس» (18). إن هذا الموقف من مشكلة الهوية له انعكاساته الكبيرة على العملية الإبداعية، نحا أمين معلوف إلى استلهاج التراث العربي الإسلامي في نصوص روائية حظيت بشهرة واسعة. لقد استثمر معلوف خصوبة اللغة الفرنسية وجمالياتها، ومنجزات الحدث الروائية العربية، لينطلق من كل ذلك إلى محاورة التاريخ والتراث.

هناك قطيعة واضحة في التجربة الجزائرية، فباستثناء نصوص رشيد بوجدره التي تقيم بعض الجسور مع التراث الثقافي العربي، تكاد معظم الكتابات الفرانكفونية تجهل تماما ثراء هذا التراث. صحيح أن بعضها استلهم التراث الشعبي مثل كاتب ياسين، ولكن نسبة كبيرة أقامت قطيعة مرعبة مع هذا المخزون. إن كتابات رشيد ميموني، ومولود معمري، ومولود فرعون، وآسيا جبار، وصولا إلى التجارب المعاصرة مع بوعلام صنصال، ومليكة مقدم، وياسمينه خضرة، ... تشكل كلها دليلا قاطعا على ذلك.

كتب يوسف سبتي وهو أحد الشعراء الذين يكتبون بالفرنسية والعربية- يقول « إن أدبنا الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ازدواجي الأسلوب والأصل والمصير، رغم وحدة ينقلها من مرة إلى أخرى، ومن ممر إلى آخر، إنها وحدة ضئيلة، مهددة بالتبعثر »(19). ثمة انفصام بين هوية لغوية مطموسة ومكتوبة وممارسة لغوية مستحيلة، مما أحدث صراعا رهيبا، انتهى عند الكثير إلى مآزق الانسداد والقطيعة. لقد حاول بعض من يكتب بالفرنسية أن يهرب من هذا المآزق، من خلال الدعوة إلى هوية الكتابة نفسها، وأن الكينونة تقع في فعل الإبداع لا في هوية مفارقة ومتعالية، عبر عنها عبد اللطيف اللعبي بقوله « وهكذا تصبح الكتابة هي الوطن الرحب، المدهش دائما المسقط لكل الفناعات الضيقة والرؤى الضيقة والأوطان الضيقة، الزارع دوما بذور العصيان وجنون الأمل، رغم كل أسباب فقدان الأمل، هنا وطني الأصلي والشرعي، والوطن الجغرافي، ليس إلا تجليا من تجلياته »(20). الوطن هو الكتابة، والهوية هي الكتابة أيضا، ذلك هو مخرج بعض المبدعين الذي انتهى عندهم سؤال اللغة أزمة وجودية وحضارية مزمنة.

ج- الأدب الجزائري ونقد منظومة القيم:

ثمة ملاحظة أساسية في بنية النصوص الروائية الجزائرية العربية والفرانكفونية على حد سواء، وهي تعرية بؤس الإيديولوجيا السائدة، ونقد منظومة القيم الاجتماعية والثقافية المهيمنة. لقد مارس النص الروائي -خصوصا- فضلا بالغيا للسائد والثابت بمفهوم أدونيس، وصل في بعض النصوص إلى حد القطيعة الشاملة مع خصوصيات الذات الثقافية.

وقد رافق هذا النقد الروائي للمجتمع نقد فكري ومعرفي وسوسيولوجي تبناه مجموعة من المفكرين أمثال مصطفى لشرف وجمال الدين بن الشيخ ورضا مالك ...

ومن هنا تأسس الأدب الجزائري -في جزء هام منه- « كتاباً نافية نقدية وجدلية للمنظومات الإيديولوجية الوطنية الشمولية، نصا مفككا وإيحائيا للكتابات المهيمنة بوصفها بنيات ذهنية لمجموعات اجتماعية وسياسية بمفهوم أدورنو وغولدمان »(21). وهكذا يستعيد بلحسن أداة منهجية في النقد السوسبيولوجي، أقصد بذلك مفهوم " رؤيا العالم " الذي طرحه غولدمان، والذي يعني أن الكاتب يقدم -في آخر المطاف- رؤيا شاملة تتطابق مع البنية الذهنية السائدة لدى الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

وفي اعتقادي أن هذا المفهوم يصادف عوائق كثيرة، أهمها أن الرؤى المعبرة عنها في كثير من النصوص الروائية كانت رؤى فردية، بل متناقضة مع تصورات الجماعة ذات المنحى الشعبي السلفي المحافظ في أغلب الأحيان. ثمة إشكالية واضحة تتمثل في القطيعة بين الروائي وجذوره الطبقية والاجتماعية، ومن ثم يغدو مفهوم رؤيا العالم مفهوما مشوشا ومربكا.

ومهما يكن من أمر فقد واجهت الرواية الجزائرية المسكوت عنه، والمقموع، والسائد، والمهمش. وهنا يطرح بلحسن أهمية تناول النص الجزائري من خلال نظريات إيديولوجية نقدية كالماركسية والإسلام السياسي والحدثة، بحيث يتم الكشف عن التيمات المختلفة عن التيمات المهيمنة. وقد لخصها الباحث في:

- 1- نقد إيديولوجيا المشروع التاريخية التي تأسست عليها الدولة الوطنية.
- 2- نقد المعيشي ومساءلة المكبوت والمهمش مثل: الحب والجنس والمرأة باعتبارها تيمات تعمد إنتاج الهيمنة بكافة أشكالها.
- 3- نقد المرجعية الدينية والسلفية.
- 4- الدعوة إلى الحرية والاختلاف.
- 5- نقد إيديولوجيا " الإجماع " الوطني والاجتماعي، وإظهار الصراعات والتوترات المطموسة(22).

ضمن هذا السياق تأسست النصوص الروائية الهامة في الأدب الجزائري المعاصر، ومثل كاتب ياسين محطة لافتة في هذا النهج، فمن خلال « عنف الكتابة وتبني المواقف

المناقضة للذات، فإن كاتب كان أول من تجرأ على كافة المستويات. لقد كانت القطيعة والثورة هما الفضاء الذي عاش وكتب فيه ياسين» (23). وفي الجيل الثاني يبرز رشيد بوجدره كأهم من جسد الخط النقدي العنيف تجاه السائد، «لقد عدت رواية رشيد بوجدره في أغلب الأحيان أثرا مستغزاً، مؤسساً على الفضيحة، إنها أثر مربك، يثير كافة الخصومات» (24). ويستفز كافة التصورات المتوارثة.

هكذا بلور ياسين وبوجدره خطأ سردياً متميزاً في الرواية الجزائرية والعربية - إذا تجاوزنا مآزق اللغة - لا يعترف بحدود العرف والسائد، يسعى إلى تثوير الكتابة كمدخل لتثوير الفضاء الاجتماعي.

والملاحظ أن هذا النقد الاجتماعي والثقافي الذي طبع نصوصهما، لم يتوقف عند هذا المستوى، بل تعداه إلى مستوى جمالية اللغة والبناء السردية. لقد تحول الخطاب الروائي عند بوجدره وياسين، وفارق فضاءاته الكلاسيكية والواقعية التي درج عليها كتاب الجيل الأول: محمد ديب، ومولود معمري، ومولود فرعون، ... لقد فتحا أبواب الرواية الجديدة على مصراعيها من خلال إحداث ثورة في شعرية اللغة، وجمالية الهيكل السردية، وحضور الشخصية، وإرباك الزمن، وتشويش المكان، واستحضار النصوص التراثية الغائبة ...

إن رواية "نجمة" و"التفكك" و"التطبيق" أوضح مثال على هذه النزعة الحدائثية في الرواية الجزائرية. ولكننا لا نعدم نصوصاً أخرى ضمن هذا الخط الفكري والجمالي - وإن اختلفت في الدرجة - مثل "اللاز" و"الباحثون عن العظام" للطاهر جاووت، و"النهر المحول" لرشيد ميموني.

خاتمة:

حاولنا أن نقدم أسس المقاربة السوسولوجية للباحث عمار بلحسن في رؤيته للكتابة الأدبية في الجزائر وإشكالياتها النظرية والمنهجية. لقد رصد بلحسن الظاهرة الأدبية في الجزائر بعيون الناقد السوسولوجي الذي يبحث في الواقعة في جذورها الاجتماعية والثقافية. إن بلحسن لم يقارب نصوصا مقارنة نقدية نصية تبرز تجليات الاجتماعي والإيديولوجي من خلال تحولات اللغة والبيئة السردية، وإنما أدرج البعد الأدبي ضمن ما يسمى بسوسولوجيا الثقافة.

الهوامش:

- 1- عمار بلحسن، الكتابة والمنبر الغائب، المجالات الثقافية في الجزائر، مجلة التبيين، ع 5، 1992، (جمعية الجاحظية)، ص 92.
- 2- المرجع السابق، ص 92.
- 3- الزواوي بغورة، الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2003، ص 06.
- 4- عمار بلحسن، الكتابة والمنبر الغائب، ص 94.
- 5- المرجع السابق، ص 95-96.
- 6- عمار بلحسن، إنتلجانسيا أم مثقفون في الجزائر، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1986، ص 176.
- 7- المرجع السابق، ص 163.
- 8- راجع هذه الأطراف في: عمار بلحسن، المنبر الغائب، ص 97، وما بعدها.
- 9- المرجع السابق، ص 110.
- 10- المرجع السابق، ص 111.
- 11- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط6، 1999، ص 9.

- 12- عمار بلحسن، مفهوم الإيديولوجيا، سلسلة المكتبة الشعبية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 9.
- 13- المرجع السابق، ص 19.
- 14- المرجع السابق، ص 85.
- 15- المرجع السابق، ص 97-98.
- 16- Robert Escarpit, Le littéraire et le Social, flammarion, Paris, 1970, P 38.
- 17- عمار بلحسن: الكتابة والمنبر الغائب، ص 109.
- 18- Amin Maalouf: Les identités meurtrières, Grasset, 1998, P 23-24.
- 19- يوسف سبتي، الأدب الوطني من الأمس إلى الغد، مجلة التبيين، ع1، 1990، ص 16.
- 20- عبد اللطيف اللعبي، عن مفهوم الوطنية في الكتابة الأدبية، مجلة التبيين، ع1، 1990، ص 86.
- 21- عمار بلحسن، الجزائر كنص: سؤال عن الأدب الوطني، مجلة التبيين، ع1، 1990، ص 133.
- 22- المرجع السابق، ص 133-134.
- 23- Kateb Yacine et la modernité textuelle: ouvrage collectif, O.P.U, Alger, P 106.
- 24- Naget Khadda, Représentation de la féminité dans le roman algérien de la langue française, O.P.U, Alger, 1991, P 136.